

الأدلة السلوكية

حدثني جاري عن جده لأمه وخاله: قد فُجِعنا قبل سنواتٍ برحيل (جدي) ذو الثلاث عقودٍ من عمره العامر بالعبادة، والتراحم، والتكافل بين أسرته وجيرانه ومحلته؛ رغم أنه لا يقرأ أو يكتب، ودخله حفنة قليلة من نقود "الطويلة"؛ ولكنه حمل كلام ربه على رأسه، وأخذت جوارحه تسبح الآيات في آناء الليل وأطراف النهار بالخطوات والصلوات بصدق القول والعمل..

شاهدنا في الأمر حسب قوله، ووعى نوله: كم هو مقدار أعمارنا؛ فهل سنكون نحن في صحة تامة؛ أم يعيش جسدنا وعقولنا مشلولة؛ وأطرافنا معلولة بعقاقير الوهن الشاذ؛ والتبعية المفرطة بالعدوانية والشحناء خلف طيات اللسان، وأعواد دُعاة البيان؟!

حتى أنه أوصل عمره لجاري، وراهن على جوارى بغيار نعله المعتقد بهذه الوقفات الاستفهامية:

— يثير تعجبي من يدعي المرض وخشية العدوى بالسلام على أهل محلته بالتجاهل، ويطبع قُبَلاته بانكسارٍ وضعفٍ على رؤوس البؤوس والشلل في تدبر آيات الفرقان بقوله: (وَقُلْ لِّعَمَلِكُمْ لَكُمْ آيَاتٌ فَسَيَرَى الْغَافِلُونَ) (17) وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَتْرًا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ الْغَافِلُونَ) (18) وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَتْرًا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ الْغَافِلُونَ) (19) وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَتْرًا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ الْغَافِلُونَ) (20)

— يثير تعجبي من يحمل على رأسه وكتفه بياض الشيب، ونكران العيب، وهو يصول ويجول بالبغضاء في جُل نبضات قلبه، ولا علم لعناقيد الفهم والاستدراك لهؤلاء كيف هم ينظرون لأمراضهم؛ وسلالتهم؛ وعيالهم؛ وأحفادهم؛ وأعمارهم؛ ومتى يخلون من عُليتهم؛ فما بالك لأنفسهم بالنظر للمرأة؟

أحقاّ نحن ممن نجتث الكلام؛ ونسمع المرام؛ على إطناب الحروف بالترار في الآيات لسورة لقمان (الحكيم) في قوله سبحانه وجل شأنه: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِمَا عَصَبَ رَبُّوهُمُ الْمَالَ لِلْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبْيَ بِمَا كَسَبَ الْوَالِدُونَ وَالسَّبْيُ بِالْحَرْبِ إِنَّ الْوَالِدِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالسَّبْيَ بِمَا كَسَبُوا وَالسَّبْيُ بِالْحَرْبِ) (17) وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَتْرًا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ الْغَافِلُونَ) (18) وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَتْرًا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ الْغَافِلُونَ) (19) وَلَا تَجْعَلْ لِحُكْمِكَ عَدُوًّا وَلَا حَتْرًا يُدْرِكُهُ الْإِنشَاءُ الْغَافِلُونَ) (20)

فِي الْمَسْمُومَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبِغْ عَلَيْنَا كُفْمَ نِعَمِ مَهْ طَاهِرَةً وَبَاطِنَةً
وَمِنَ اللَّسَّاسِ مَنْ يُجَدِّدُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ
(20) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا
وَجَدْنَا عَلَيْنَاهِ آبَاءَ نَا أَوْلَآءِ كَانَ لِلشَّيْطَانِ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ
الْمَسْجِرِ (21) وَمَنْ يُسْلِمْ وَجَّهَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ
بِرِجْلِ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ (22).

– أحقاً نحن الآن ممن يتدبر؛ أم ما زلنا نقرأ القرآن الكريم وهو يلعننا؛ ساعة جهننا وسرنا بإدخال
هذا الجنة والنار؛ على آفاق الحديث القدسي الواضح والراجح: (الدين المعاملة)؟!